التعب الباطل والتعب المريح

دخول التعب إلي العالم بسبب الخطية:

القس أغسطينوس حنا

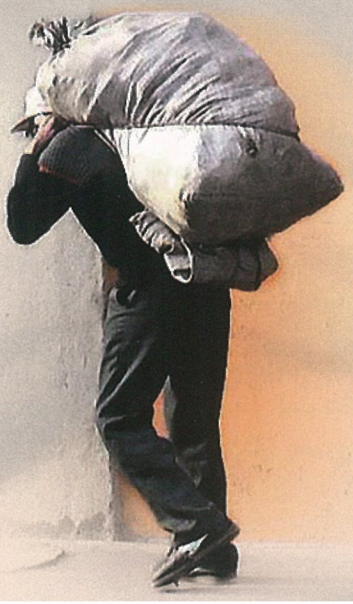

عندما خلق الله الإنسان لم يكن يعرف التعب. ولكنه عندما خالف وصية الله وسقط جلب على نفسه التعب والمتاعب من كل نوع. فكانت عقوبة الإنسان هى "**ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك.. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أُخذت منها**" (تك٣:١٧). وكانت عقوبة حواء "**تكثيراً أكثر أتعاب حبلك**" (تك ٣:١٦) وقال أيوب "**الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً**" (أي١٤:١).

ولكن هذا التعب هو على نوعين أساسيين: تعب باطل وتعب آخر مثمر ومحبب هو الذى أسميه بالتعب المريح إن جاز التعبير. وفيما يلى اذكر للقراء الأعزاء تطبيقات لكل منهما...

أولاً-التعب الباطل:

لعل أصدق الايات تعبيراً عن التعب الباطل هى قول سمعان بطرس: **"يامعلم قد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً"** (لو٥ :٥). وايضاً وصف الرب التعب الباطل فى ردّه على أيوب بمثال النعامة فقال: **"أنها تترك بيضها وتحميه فى التراب. وتنسى أن الرجل تضغطه أو حيوان البر يدوسه. تقسو على أولادها كانها ليست لها. باطل تعبها بلا أسف"** (اى٣٩:١٤-١٧). ويمكن أن نتحدث عن التعب الباطل فى الصور الآتية

١- تعب الحياة فى الخطية:

يقول الكتاب: "أما الذين لايطاوعون للحق بل يطاوعون للأثم ،فسخط وغضب شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر" (رو ٢:٨). أن الخطية تجلب على الإنسان اللعنة والمرض والهم والغم والاكتئاب والافلاس والحرمان من بركة الرب ومعونته وإن لم يتب الإنسان عنها ويتحرر بالمسيح من قبضتها فسوف يهلك لامحالة. فكل تعب يتعبه الإنسان وهو يعيش فى الخطية هو تعب مضاعف ضار وباطل وقبض الريح. أنه لم يستفد من العقوبة الإلهية ويسير كالأعمى فى طرق وعرة. ولذلك كان أحد الوعاظ بصعيد مصر يصف الخطيه بقوله **"الخطية تنجس وتدنس وتجرس وتفلس وتنكس الرأس"** !

٢- التعب فى خدمة إبليس:

رأى شخص جزاراً يسرع فى طريقه وهو يلّوح لخروف يتبعه بحزمة برسيم والخروف يلهث من الجري دون أن يلحق بالبرسيم. **فقال للجزار:** حرام عليك قطعت قلبه دعه يأكل شيئاً. فأجاب: **"أنا مش فاضى له سأخذه إلى السلخانة واذبحه وأشوف غيره!"**

قال صديقنا: آه لو عرف هذا الخروف الساذج المسكين أن الذى يجري وراءه ليس الراعى ولكنه الجزار لما سار وراءه هكذا. ان إبليس جزار مخيف لا قلب له ولامشاعر ولايعرف الرحمة وهو يلوح لأتباعه بحزم برسيم كثيرة مثل الشهوات والمخدرات والمكيفات والدخان والضلالات والملاهى والشيشة والنوادى الليلية والقمار وتجارة الجنس والصور القذرة الفاضحة على الانترنت والصداقات الشريرة... الخ

السيد المسيح وصف أبليس أنه كذاب وأبو الكذاب وقتّال للناس منذ البدء (يو٨:٤٤) **"لقد وُصف الشيطان بالأسد الزائر وبالحية السامة والذئب واللص الذي لاعمل له إلا بأن يسرق ويذبح ويهلك"** (يو١٠:١٠).

أن التعب فى الجرى وراء إبليس هو تعب باطل ضار ويؤدى إلى تعب أكثر رعباً فى الأبدية التعيسة مع إبليس.

٣- التعب فى خدمة العالم والمال بدون المسيح:

تأوه أحد الساسة الإنجليز بعد أن أفنى عمره فى خدمة منصبه الكبير عندما أُقيل ونسبوا إليه استغلال النفوذ فقال: "**ليتنى خدمتك يا يسوع الناصرى الذي تكافئ الأمانة وتعُوض عن كأس الماء البارد**".

وتقول أسطورة أن حجاراً كان يقطع الحجارة من الجبل تحت الشمس المحرقة ويتصبب منه العرق، رأى موكب الملك يركب عربته المذهبة التى تجرها الخيول، فصرخ متذمراً أن الملوك ولدوا وفى أفواههم ملعقة ذهبية. وأما أنا الفقير المسكين فقد كُتب على الشقاء ياليتنى كنت ملكاً!

تقول القصة أنه فى لمح البصر أعطاه الله سؤله فإذا به يصير ملكاً يركب عربة ذهبية تجرها الخيول وحوله الحراس والحاشية. ولكنه لاحظ أن الشمس لاتزال تضربه بسعيرها. فقال إذن الشمس اعظم من ملوك الأرض، ياليتنى كنت شمساً! تقول الأسطورة وإذا به يتحول إلى شمس. ولكن سحابة أتت وحجبت وجهه عن الأرض، فغضب وقال إذن السحابة أقوى، ليتنى كنت سحابة! فصار سحابة تسبح فى الفضاء وسرعان ما أصطدمت بجبل فامطرت وتبددت. قال إذن الجبل أعظم واقوى. ياليتنى كنت جبلاً. تقول الأسطورة أنه صار جبلاً.... وفى الصباح جاء حجار يقطع الحجارة من الجبل، فقال إذن فالحجار أعظم واقوى من الجبل ،ياليتنى كنت حجاراً»!. فصار حجاراً مرة أخرى كما كان وافاق الرجل من احلام اليقظة!

هكذا الجرى وراء العالم والمادة بدون وجود بركة المسيح هو تعب باطل وقبض الريح "**يجمعون لكيس مثقوب**" (حجى١: ٦) بينما بركة الرب تغنى ولا يزيد معها تعباً. وما أجمل قصيدة قداسة البابا شنوده التى تتحدث عن هذه الحقيقة فى وصف يجمع بين الغنى الغبى وأقوال سليمان فى سفر الجامعة إذ يقول:

سأهدم فى المخازن ثم أبنى ... وأجمع فضتى وأضم تبرى
وأغرس لي فراديسا كبارا ... بأثمار وأطيتار وزهر
وابنى معبداً للمال ضخماً ... أقدم فيه قربانى وشكرى
ثم ماذا بعد هذا ليت شعرى ... سألقى الموت مهما طال عمرى
وهذا المال ياويحى عليه ... ساترك كل أموالي لغيرى
وأفنى مثل مسكين فقير ... وأرقد مثله فى جوف قبر
ونسمة قبره ستهب حولي ... ولاتفريق بين غنى وفقر

٤-التعب الباطل بسبب سوء الاختيار فى الزواج:

هذا أيضاً تعب باطل فإذا أحسن الانسان الاختيارعاش فى نعيم مقيم، وإذا أساء الاختيار عاش فى تعب ونكد وجحيم أليم. ان شرط الايمان ومحبة الله والناس والكنيسة والاجتيل وعمل الخير هو شرط اساسي في الاختيار وبالاجمال وجود الحياة الروحية، هو صمام أمان، ولكنه يحتاج معه إلى الحكمة والاتضاع والصبر وحسن الطباع. ولذلك يقول المثل: أن كنت مسافراً أرضاً فصلى مرة. وان كنت مسافراً بحراً صل مرتين. وان كنت مسافراً جواً صل ثلاث مرات. أما أن كنت تريد الزواج فصلى سبع مرات! وما أكثر الذين ينفقون ببذخ على الزواج وحفلات الزواج ثم سرعان ما ينهار الزواج امام محاكم الطلاق. نعم الأفضل الا يتزوج الانسان من الأصل عن أن يتزوج زواجاً فاشلاً ثم يبكى قائلاً: **« تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً »!**

٥-التعب الباطل بسبب عدم تربية الأولاد روحيا:

يهتم كثير من الوالدين بتدبير الأكل والملبس والتعليم والكماليات لأولادهم، بينما يهملون الحياة الروحية. فلا يهتمون بالمواظبة على الكنيسة ومدارس الأحد وممارسة الاعتراف والتناول والصلاه وقراءة الاجتيل، ويتركوهم لتربية التلفزيون والتليفون والسينما والانترنيت وأصدقاء السوء! وينتهى الأمر بالأولاد إلى الفشل والمخدرات والجنس والقمار والعصابات وأحياناً السجن أو المرض العقلى والانتحار! إنها جناية الآباء والأمهات على أولادهم وبناتهم ثم على انفسهم. ولذلك يقال: (ربّوا أولادكم والا فسوف يربّونكم)! لقد عاقب الله عالى الكاهن بكسر رقبتة على سوء وضعف تربيته لأولاده فكانوا سبب تعب له ولكل الشعب و هلكوا.....

٦- التعب الباطل بسبب العرج بتن الفرقتين:

ان الميوعة والعرج لاتصلح فى الحياة المسيحية فيجب ان نحدد موقفنا أما مع المسيح أو مع الشيطان، أما مع الكنيسة أم مع العالم.

لقد وبخ إيليا النبى الشعب بقوله: **« حتى متى تعرجون بين الفرقتين. ان كان الرب هو الله فاتبعوه وان كان البعل فاتبعوه »** (١مل ١٨:٢١). ان الذي يمسك العصا من النصف أو الذى يعيش على الأرجوحة هو مكروه من الله ولذلك يقول الرب يسوع **« ليتك كنت حاراً أو بارداً، ولكن لكونك فاتر أنا مزمع أن أتقيأك من فمى »** (رؤ٣:١٦) وقال أيضاً بكل صراحة **« من ليس معى فهو علىّ ومن لايجمع معى فهو يفرق »** (متى١٢:٣٠). وقال الرسول بولس: **« لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين »** (١كو١٠:٢١) ان هذا الأعرج سيخسر حتى مكافأة أعماله الصالحة ويكون تعبه باطلاً (تى١:١٦). فما جدوى الصلاة والصوم مع الكذب السب الغضب والخصام والادانة والنميمة والشتيمة والكذب والكبرياء واحتقار الآخرين والعثرات وكسر عشرات الوصايا الصريحة؟!

ثانياً- التعب المريح:

قد يبدو العنوان متناقضاً إذ كيف يكون التعب مريحاً؟ والمعروف أن التعب هو عكس الراحة ولكنه فى الحقيقة ممكناً وهذا ما يجرى على ألسنة الناس مجرى الأمثال عندما يكون التعب محبباً او مثمراً وغير باطل بقولهم (**تعبك راحة**)! و يقول أطباء القلب إذا كان الآنسان يتعب إلى درجة الإرهاق من أجل رسالة أو عمل يحبه فإن هذا لايضره ومن أهم أنواع التعب المريح مايلى....

١-تعب المحبة هو تعب مريح:

إننا نقرأ فى سفر التكوين أن يعقوب أحب راحيل محبة كبيرة واشتغل من أجل أن يتزوجها أربعة عشر سنة مجاناً، ولكنها مضت فى عينيه كأيام قليلة (تك٢٩:٢٠) ومكتوب ان الله "**ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة**" (عب٦:١٠).

فهل نحن نحب الرب ونتعب من أجله دون ان نشعر بالتعب كما أحب يعقوب راحيل؟ ان المحبة ان لم تتجسد فى خدمة تتبّخر أو تصير رخيصة وكلاماً فى الهواء، ولذلك يوصى الرسول يوحنا الحبيب قائلاً: "**لانحب بالكلام واللسان ولكن بالعمل والحق**" (١يو٣:١٨)

٢-التعب فى خدمة المسيح هو تعب مريح:

يخاطب السيد المسيح كل واحد من أولاده فى كل يوم قائلاً: "**ياأبنى إذهب اليوم اعمل فى كرمى**" (متى٢١:٢٨) ويقول: "**احملوا نيرى عليكم فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيرى هين وحملى خفيف**" (مت١١:٢٩) لقد تعب المسيح من أجلنا ومن أجل محبته لنا أكثر مليون مرة مما نتعب نحن من أجله، فتعب من السفر ست ساعات لربح نفس المرأة السامرية ونقرأ انه تعب وعطش وجاع وبكى (يو٤:٦)....الخ ولكنه بعد ما ربح هذه النفس المحبوبة لديه واحضر له تلاميذه طعاماً ليأكل قال لهم "**لى طعام آخر لستم تعرفونه**" ثم افهمهم أن "**طعامى ان أعمل إرادة أبى الذى أرسلنى**" (يو٤:٣٤) وتعب السيد من أجلنا نحن العبيد البطالون تعباً مريعاً من إهانات وتعذيب الأشرار وظلمهم وقسوتهم وجلدهم وصلبهم، ولكن إذا سألته "**ما هذه الجروح فى يديك؟**" يجيب: "**التى جرحت بها فى بيت أحبائى**" (زك١٣:٦) فهل نخجل نحن الخطأة من كسلنا وبلادة مشاعرنا وتقصيرنا فى خدمته وفى محبته وطاعته لأننا لم نصل حتى إلى مستوى العبيد البطالين لأننا لم نفعل كل ما أمرنا به (لو١٧:٧-١٠). اسمع إذن قول الرسول بولس: "**مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب**" (اكو١٥:٥٨).

٣- التعب فى عمل الخير هو تعب مريح:

ذكر أيوب الصديق بعض الخير الذى عمله وهو يدافع عن نفسه تجاه اتهامات

أصحابه الباطلة فقال "لأن الأذن سمعت فطوبّتى والعين رأت فشهدت لى. لأنى أنقذت المسكين المستغيث واليتيم ولامعين له. بركة الهالك حلت علّى وجعلت قلب الأرملة يُسّر. لبست البر فكسانى...كنت عيوناً للعمى وأرجلاً للعرج. أب أنا للفقراء ودعوى لم أعرفها فحصت عنها. هشّمت أضراس الظالم ومن بين أسنانه خطفت الفريسة..." (أى٢٩:١١-١٧). ما أروع هذه الكلمات الموسيقية. كم أحبها وأتمنى ان يحفظها ويعيشها كل مسيحى. أنها غنية عن التعليق لذلك يقول الرب فى مقدمة سفر اشعياء "كفوا عن فعل الشر وتعلموا فعل الخير" (اش١:١٧) ان فعل الخير فن عظيم جميل ولذيذ وممتع والتعب فيه ليس فقط ليس باطلاً ولكن يزيد صاحبه سعادة ويريح الاخرين ويسعدهم ويمجد الله (متى٥:١٦).

٤- التعب المثمر:

ان الثمر ينسى الانسان التعب مثل التلميذ الذى يتعب وينجح أو رجل الأعمال الذى ينجح أو الأم التى تتعب فى الولادة ولكنها متى ولدت لا تعود تذكر الشدة بسبب الفرح بالطفل الجديد (يو١٦:٢١). "بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير ويثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم" (يو١٥:٨) لقد ادرك يوسف هذة الحقيقة عندما أسمى ابنه الأول منسّى وقال «لان الرب أنسانى تعبى وأسمى أبنه الثانى افرايم ومعناه المثمر ثمراً مضاعفاً وقال أن الله أثمرنى فى أرض غربتى وهكذا التعب المثمر ينسى التعب ويفرح القلب.

٥- التعب فى الاضطهاد من أجل المسيح:

"فى الأتعاب أكثر فى الضربات أو فر فى السجون أكثر. فى الميتات مراراً كثيرة..." (٢كو١١:٢٣-٢٨ ,أع٥:٤١).وقال عنة الرسول بولس "أنا أفرح فى ألامى" وقيل عن الرسل انهم بعد ماجلدوهم انهم ذهبوا فرحين "وَلَكِنَّ الرُّسُلَ خَرَجُوا مِنَ الْمَجْلِسِ فَرِحِينَ، لأَنَّهُمُ اعْتُبِرُوا أَهْلاً لِلإِهَانَةِ مِنْ أَجْلِ اسْمِ يَسُوعَ" (اع٥:٤١)..

٦- التعب من أجل السماء:

وهذا البند يحتاج إلى مقال مستقل ولكن يكفى أن نورد له هذه الآيات: "يستريحون من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم" ويكافأ كل واحد حسب تعبه ونجم يمتاز عن نجم فى المجد. (دا١٢:٣) "أن كل الآم الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رومية٨:١٨).